(14-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

الحوار المعلق بين الانحياز والابتزاز

كانت آخر مهمات شولتز فيما يتعلق بالحوار الفلسطيني هي توجيه رسالة الى السفير الامريكي في تونس روبرت بلليترو في 15/12/1988، حيث باشر بالاتصال بالدائرة السياسية لمنظمة التحرير طالبا ترتيب لقاء مع وفد فلسطيني لبدء الحوار. وقام الاخ ابو عمار الذي كان حينئذ في زيارة لالمانيا الشرقية بتسمية الفريق الفلسطيني المفاوض برئاسة الاخ ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية وعضوية الاخ عبد اللطيف ابو حجلة (ابو جعفر) مدير عام الدائرة السياسية والاخ حكم بلعاوي سفير فلسطين في تونس. وابتدأ اللقاء الرسمي الاول يوم 16/12/1988، في قصر الضيافة التونسي في مدينة قرطاج حيث عبر السفير الامريكي بلليترو عن سعادته ومباركته لبدء الحوار ولاتخاذ المنظمة موقفا قبلت بموجبه القرارين 242،338 وحق إسرائيل في الوجود ونبذ الإرهاب. واضاف ان الوزير شولتز قد خوله بدء الحوار مع ممثلي المنظمة والاستمرار فيه طالما التزمت المنظمة بادانة الارهاب والتخلي عن ممارسته. كما اكد انه القناة الوحيدة الرسمية المخولة بالاتصال وان اللقاءات القادمة ستكون لبحث القضايا الجوهرية وستتم بعد استلام ادارة الرئيس المنتخب بوش في 20/1/1989، كما اكد السفير ان هدف الحوار الامريكي الفلسطيني هو تسهيل تحقيق الحوار الفلسطيني الا سرائيلي ونصح بتوسيع نطاق الاتصالات الفلسطينية الاسرائيلية، واكد بشكل واضح ان حرص الولايات المتحدة على بدء الحوار مع المنظمة هو من اجل حماية اسرائيل والحفاظ على مصالحها. وقد عبر الفريق الفلسطيني عن شكره للولايات المتحدة التي استجابت اخيرا لخطوات السلام التي انتهجتها المنظمة وان الولايات المتحدة على طريق احداث تغيير جوهري في سياستها تجاه الشعب الفلسطيني. وطالب الوفد الفلسطيني الولايات المتحدة بتحمل مسؤولياتها الدولية كدولة عظمى لحماية حقوق الشعب الفلسطيني ووقف العدوان الاسرائيلي وممارساته القمعية وسياسة القبضة الحديدية في الارض المحتلة والدفع باتجاه تحقيق التزام امريكي واضح بضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها عام 1967، تطبيقا للقرار 242، ومع نهاية اللقاء الاول قال بلليترو للصحافة بان الولايات المتحدة الامريكية لم تغير موقفها تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ولكن المنظمة هي التي غيرت موقفها من هذا الصراع وان الحوار مع المنظمة هو المؤشر الرئيسي لحدوث هذا التغيير.

كانت بداية الحوار الامريكي الفلسطيني مقلقة بالنسبة لحكومة اسرائيل، وقد بدأ ضغط اللوبي الصهيوني على الادارة مبكرا خشية ان يتحول الحوار الهادف الى تغيير طبيعة منظمة التحرير الى تغيير طبيعة السياسة الامريكية التي بدأ دور الكيان الصهيوني في المعادلة الدولية اقل اهمية بالنسبة لامريكا. وكان المصهاينة يدركون كما عبر وزير خارجية إسرائيل الأسبق أبا ايبان "ان قبول المنظمة بوجود اسرائيل يعني انها تتخلى عن كونها منظمة تحرير".

وكان الجانب الفلسطيني يدرك ان العمل على اقناع امريكا بوجوب قيام دولة فلسطينية مستقلة الى جانب اسرائيل يعني ان اسرائيل لم تعد الكيان الصهيوني الذي يتطلع للتوسع من اطار اسرائيل الكبرى من النهر الى البحر الى إسرائيل الاكبر من النيل الى الفرات. من هنا بدأ التخوف الصهيوني من بداية الحوار الامريكي الفلسطيني.

بدأ الضغط الاسرائيلي على الادارة الامريكية يتصاعد حال التأكد من ان امريكا كانت تتجه نحو فتح حوار مع المنظمة وذلك في يوم 13/12/1988، يوم القاء خطاب عرفات في جنيف. قال شولتز في مذكراته ان اسحاق شامير حذره من مغبة اتخاذ قرار بالحوار مع المنظمة، قائلا "ستتعرض علاقاتنا لمصاعب كثيرة اذا قامت الولايات المتحدة بفتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية". لم يقتصر الضغط الاسرائيلي على القنوات الدبلوماسية المعهودة بل تعداه الى استخدام الكونغرس، خاصة اعضاء الكونغرس من اليهود، لدعم الموقف الاسرائيلي الضاغط ولقد استمرت تلك الضغوط بعد فتح الحوار حيث قامت بالتشكيك في جدواه وفي مصداقية المنظمة مما ادى الى تضييق هامش الحرية امام ادارة امريكية حذرة وجامدة بطبيعتها.[1]

وقد حرص بلليترو على التأكيد للفريق الفلسطيني ان الولايات المتحدة قد بدأت الحوار مع المنظمة ضد ارادة ورغبة اسرائيل وقال:

(ان اسرائيل تمارس ضغوطا كبيرة على امريكا لوقف الحوار مع المنظمة، الا ان ادارة الرئيس بوش مصممة على الموقف الامريكي واهميته واعتباره تطورا ايجابيا في السياسة الامريكية. بالاضافة الى ذلك، قال السفير الامريكي ان المنظمة بحاجة لادانة كل العمليات العسكرية ضد اسرائيل والعمل على منع وقوعها وفي ختام كلمته تلك، عاد بلليترو الى الحديث عن اهمية الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين في الداخل والتأكيد على الحاجة لاتخاذ خطوات متبادلة لبناء الثقة بين الطرفين ذكر منها التخفيف من حدة السياسة الاسرائيلية في المناطق الفلسطينية المحتلة، ووقف الانتفاضة، واجراء انتخابات فلسطينية).[2]

وبينما كان اصدقاء اسرائيل في واشنطن يصعدون ضغوطهم من اجل وقف الحوار مع المنظمة كان بنيامين نتنياهو، نائب وزير خارجية اسرائيل حينئذ وزعيم ائتلاف الليكود حاليا، يقوم باغراق السفارة الامريكية في تونس بالدعاية الكاذبة متهما المنظمة بمواصلة الاعمال الارهابية. وكما اخبرني مصدر موثوق داخل السفارة الامريكية في تونس، كانت رسائل نتنياهو تصل عبر الفاكس مباشرة دون المرور بالقنوات الدبلوماسية المعتادة. وعندما تم اللقاء الثاني للحوار في 22/3/1989، بين الوفدين الفلسطيني والامريكي في تونس كان معظم الحماس والزخم اللذين رافقا بدء الحوار قد تلاشيا واختفيا تماما)[3]

وجاءت الجولة الثالثة للحوار بعد ان استطاع شامير ان يقنع الادارة الامريكية بمبادرته التي اقرها مجلس الوزراء الاسرائيلي في نيسان 1989 والتي تقوم على النقاط التالية:

1. اجراء انتخابات في الضفة الغربية وغزة لاختيار فلسطينيين من خارج اطار منظمة التحرير الفلسطينية لتتفاوض معهم اسرائيل وفقا لصياغة كامب ديفيد حول اتفاق مرحلي بشأن الحكم الذاتي.
2. اجراء مفاوضات مع الدول العربية لابرام معاهدات سلام.
3. تسوية مشكلة اللاجئين وضرورة ان يجدد شركاء كامب ديفيد التزاماتهم تجاه الاتفاقيات والسلام) [4]

وفي حديثه امام المؤتمر السنوي للجنة العلاقات الامريكية الاسرائيلية (ايباك) في 22/5/1989 عبر بيكر عن الالتزام بالقيم الديمقراطية والشراكة الاستراتيجية التي تربط بين الولايات المتحدة واسرائيل. كما رحب بمبادرة شامير معتبرا اياها بداية مهمة وايجابية على الطريق من اجل مفاوضات عملية، ولكن بيكر الذي كان يدرك اهمية الاعتدال في الانحياز او استخدام منهج التوتر الخفيف مع إسرائيل كثمن ضروري لاضفاء المصداقية على سياسته لدى العرب. اكد في خطابه امام الايباك ان خطة شامير تفتقر

الى عنصر اساسي وهو مصير الارض المحتلة، واكد ان السلام الذي يقوم على اساس القرار 242، لا بد ان يتحقق من خلال مبادلة الارض بالسلام. وان الانسحاب من الارض المحتلة هو النتيجة المحتملة من خلال المفاوضات. (وقد عبر في اشارة مقصودة الى ايديولوجية شامير "لقد حان الوقت كي تنبذ اسرائيل مرة والى الابد الرؤية غير الواقعية عن اسرائيل الكبرى، اذ ان مصالح اسرائيل في الضفة الغربية وغزة، الامن وغير ذلك, يمكن تحقيقها في تسوية تستند الى القرار 242، أي التعهد بتحريم الضم ووقف الا ستيطان والسماح باعادة فتح المدارس ومد العون للفلسطينيين باعتبارهم جيرانا جديرين بالحقوق السياسية)[5]

كانت الواقعية العلاجية التي اعتمدها بيكر في سياسته تجاه الصراع العربي الاسرائيلي تفرض عليه ان يعزز اهمية اسرائيل كمصلحة أولى لأمريكا ولكنها يجب ان لا تتعارض مع المصالح الاخرى وخاصة ما يتعلق بالنفط وبالعلاقة مع الدول العربية الصديقة لامريكا. وكانت المفارقة ان رغبة بيكر في دعم خطة شامير تتعارض مع شرط شامير عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، فاصبح امام بيكر محاولة اقناع المنظمة بان تعطي الضوء الاخضر لفلسطينيين من الداخل ومن خارج قيادتها بالبدء بالمفاوضات مع شامير. كانت المنظمة التي حققت انجازا كبيرا مع بدء الحوار الامريكي الفلسطيني باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد لا تقبل التنازل بسهولة او التحول الى مجرد لاعب متقاعد وليس حتى احتياط.

كان الحوار في تونس قد بدأ يخرج من اطار الوفد الرسمي الذي تمت تسميته من قبل الرئيس عرفات. فقد بدأ بلليترو يتصل مع الاكثر نفوذا من قيادات فتح وخاصة الاخ ابو اياد الذي كان يعتبر في نظر الكثير من الامريكيين والاسرائيليين كداعم للارهاب، وكذلك الاخ ابو مازن الذي كان يواصل مسؤولية الاشراف على الاتصالات مع الاسرائيليين، جاء اللقاء الاخير بين بلليترو والوفد الفلسطيني يوم 14/8/1989، حيث قال:

(ان المقترحات الاسرائيلية هي الخيار الوحيد لتحقيق التقدم في عملية السلام، وان قبول المنظمة من شأنه خدمة الفلسطينيين في الداخل واحداث زلزال سياسي داخل اسرائيل. وبعد اعادة تأكيد دعم بلاده لموقف اسرائيل، قال بلليترو ان على المنظمة ان تفهم بان امريكا لن تتدخل في عملية السلام الا على اساس الخطة الاسرائيلية، وان اسرائيل لا تريد التعامل مع المنظمة، وان امريكا لا تستطيع ولا تنوي ارغامها على التعامل مع المنظمة. ولقد اختتم السفير الامريكي مداخلته بسؤال الفلسطينيين عما اذا كان لديهم افكار محددة لتنشيط وتصعيد الحوار الفلسطيني الاسرائيلي في الداخل. وهذا جعل لغة بلليترو تتحول من لغة حوار الى لغة استفزاز استهدفت وضع حد للنقاش والتركيز على كيفية التنفيذ وليس على الخيارات البديلة)[6]

كانت الجولة الرابعة الاخيرة قد جاءت مباشرة بعد انتهاء اعمال المؤتمر العام الخامس لحركة فتح التي عبرت في بيانها السياسي عن استيائها من سياسة الولايات المتحدة الداعمة لاسرائيل وعدوانها حيث جاء في البيان ما نصه:

(ولقد درس المؤتمر مطولا موضوع الحوار الفلسطيني - الامريكي الذي بدأ منذ بضعة اشهر، فاستغرب البطء الشديد في هذا الحوار وغياب الشمولية السياسية والقواعد العملية لهذا الحوار الامر الذي دفع بالمؤتمر لمطالبة الادارة الامريكية الاعتراف بوضوح بحق الشعب الفلسطيني في ممارسة حقه بتقرير مصيره وانشاء دولته المستقلة بعاصمتها القدس، واتخاذ موقف عملي متقدم للمحافظة على الحقوق الانسانية الفلسطينية التي اوضح تقرير لجنة حقوق الانسان الامريكية حجم الانتهاك الذي تمارسه سلطات الاحتلال الاسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني. كما رأى المؤتمر مطالبة الادارة الامريكية بالتخلي عن سياسة الإنحياز لإسرائيل وإتخاذ موقف حيادي يمكنها من ممارسة دورها لأن الانحياز لا

يمكن أن يخدم عملية السلام بالشكل العملي المطلوب، فضلاً عن أن إستمرار الإحتلال الإسرائيلي واستمرار عمليات الانتهاك الشرسة لحقوق الانسان الفلسطيني واستمرار سلطات الاحتلال الاسرائيلي بمواجهة انتفاضة شعبنا البطل واطفال الحجارة بالرصاص والقتل اليومي، كل ذلك ما كان يتم بدون الدعم الامريكي المقرر لاسرائيل على كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والمالية والعسكرية والمالية)[7]

حاول الاخوة المصريون التدخل واعداد خطة تساهم في بلورة مشروع الانتخابات بحيث تحظى على موافقة امريكا والفلسطينيين والاسرائيليين وهي ما سميت بخطة النقاط العشر للرئيس مبارك. وقد تضمنت الخطة إلى جانب شروط إجراء الانتخابات، وقف بناء المستوطنات ومشاركة فلسطينيو القدس ومن الشتات في العملية السياسية، وقد رفض شامير الخطة الامر الذي جعلها تتطور تقلصا إلى خطة بيكر التي سميت خطة النقاط الخمس لبيكر وكان أهم بنودها (عقد إجتماع في القاهرة بين إسرائيليين وفلسطينيين لبدء حوار مباشر في النهاية، وإتفقنا على أن مصر لن تكون بديلاً للفلسطينيين، لكن عليها أن تكون وسيطا معهم. كما أن إسرائيل لن تحضر إلا بعد الموافقة على قائمة تضم شخصيات فلسطينية مرضية غير أعضاء في م.ت.ف. فضلاً عن ذلك فإن كل الأطراف ستقبل بخطة شامير كأساس للمفاوضات. ولكن سيكون للفلسطينيين الحرية في إثارة أفكارهم الخاصة بالانتخابات وعملية التفاوض. وأخيراً يعاود وزيرا خارجية مصر وإسرائيل الإجتماع معي في واشنطن في غضون إسبوعين لتسهيل العملية)[8]

كان لرفض شامير لخطة النقاط الخمس لبيكر أثرها الكبير في أحداث سوء تفاهم وصفه بيكر في مذكراته قائلاً:

(وسرعان ما تسرب الإقتراح للصحافة، وفي 16 تشرين الأول أكتوبر رفضه شامير قائلاً في حديث صحفي: أنه لن يقبل بأي حل وسط مع الفلسطينيين حتى لو أدى ذلك إلى إنهيار حكومته وإحتدام الخلاف مع الولايات المتحدة. ولم أكن سعيداً على الإطلاق لتناقض تصريحاته تماماً مع التطمينات التي قدمها لي آرينز سراً. لكن أشد ما ضايقني هو أن شامير سيعلن تحفظاته علانية قبل أن يتصل بنا سراً. وتملكني إعتقاد بأن شامير يحاول وأد المبادرة الأمريكية في مهدها. وإنتابت الرئيس نفس الدرجة من الضيق. وفي الصباح التالي إتصل بشامير الذي سعى على الفور إلى الإفلات من ضيقنا بتوجيه الشكر للرئيس لمساعيه الحسنة ولإصراره وقال: "إننا ملتزمون بمبادرتنا السلمية نصاً وروحاً، ولم يكن مقنعاً على أية حال.

وتحداه الرئيس قائلاً: إن هناك إحساساً بأن إسرائيل تبتعد حتى عن موقفكم الخاص. إن خطة جيمس بيكر الخماسية تبدد قلقكم وتحمى إسرائيل. أنتم تعرفون مع من ستتباحثون وعما ستتباحثون. لقد إستثمرنا الكثير من هذه المبادرة. إننا لا نحاول إجباركم على التباحث مع منظمة التحرير. لكننا نريد ألا يحدث تأخير في الرد الحقيقي علينا حول تلك النقاط. فلو أعطيتمونا رداً إيجابياً فبوسع الولايات المتحدة وإسرائيل حينئذ التحرك معاً. وإذا لم تردوا فسوف نفسر عدم الرد بإنكم لا تريدون التحرك معاً.

وإلتزمت نبرة شامير جانب الدفاع بقدر أكبر. وأكد: "أننا لا نتراجع عن مبادرتنا... لكننا لم نجتمع مع منظمة التحرير الفلسطينية. وسيسعدني أن يتصل آرينز بوزير الخارجية بيكر لتوضيح هذه المسألة.

ورد الرئيس: "حسناً، لأنني إنتهيت لتوي من قراءة برقية تنقل عنكم الحديث عن مواجهة مع الولايات المتحدة. فإذا كنت تريد المواجهة فأهلاً بها". ولم يرد شامير على جورج بوش الذي أعرف انه كان مسيطراً على أعصابه رغم ضيقه البالغ. وما لبث الرئيس أن حاول حمل شامير على إبداء ما هو مستعد لعمله لإستمرار تحريك العملية. وتساءل: "ما هي خطتكم لتطبيق مبادرتكم؟" ومرة ثانية لم يتلق إجابة.

وبعد أن وضع سماعة الهاتف هززنا رأسينا من تصلب شامير. وبدا مدى صواب وصف مبارك لشامير "بالدكتور لا " الذي لا يلتزم بأي شيء مطلقاً)[9]

كان للمجزرة الدموية التي وقعت صباح يوم 20/5/1989 في مستعمرة عيون قارة (ريشون ليتسيون) أثرها البالغ في تأجيج حالة الغضب داخل الشعب الفلسطيني، في فجر ذلك اليوم قام إسرائيلي في الواحدة والعشرين من عمره يرتدي الزي العسكري بإطلاق بندقيته ألـ إم-16 على عمال فلسطينيين من قطاع غزة والضفة الغربية بينما كانوا ينتظرون أرباب عملهم الإسرائيليون في ريشون ليتسيون فقتل ثمانية منهم وجرح عشرة آخرين، وكان الرد الإنتقامي لهذه الجريمة محاولة جبهة التحرير الفلسطينية بزعامة الأخ محمد عباس (أبو العباس) إنزال قاربين على الشاطئ قرب يافا، وقد تم إعتراضهما من قبل القوات الإسرائيلية التي اشتبكت مع المجموعة الامر الذي ادى الى استشهاد اربعة مناضلين .وفي نفس الوقت تم اعتراض واسر اربعة قوارب اخرى في عرض البحر والقبض على من فيها من المقاتلين، وإعتبرت هذه المحاولة المبرر الكافي لكشف عدم إلتزام المنظمة بتعهدها بنبذ الإرهاب، وقد جاء توقيت العملية في الوقت الذي كان فيه مؤتمر القمة العربية مجتمعاً في بغداد.

لقد بلور الاخ ابو عمار، منذ ان بادر بطلب الدعوة لعقد قمة طارئة، جدول اعمال مكثف يقوم على بندين اساسيين هما: تهجير اليهود من الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية الى فلسطين، والتهديدات التي يتعرض لها العراق الشقيق من الكيان الصهيوني.

الى جانب هذين البندين الاساسيين، فقد اتسمت الدعوة للقمة بتوقيت هام يسبق لقاء القمة بين الرئيسين بوش وغورباتشوف المقرر عقده في مالطا نهاية شهر ايار 1990 كما حدد العراق مكانا لانعقاد القمة، لما يعني ذلك من اضفاء صفة القضية القومية الشاملة على الموقف العراقي الصامد.

ان البنود الأخرى التي كان يجب ان تطرح، تتعلق بقضية القدس والموقف الامريكي الاخير منها، وكذلك موضوع الدعوة لنزع اسلحة الدمار الشامل من المنطقة، الى جانب موضوع لبنان.

ان نظرة خاطفة الى كل هذه المواضيع تجعل العين لا تستطيع القفز عن واشنطن.. ولنبدأ النظرة من جديد حول البنود المتوقعة كجدول لأعمال القمة:

1. الهجرة اليهودية.. والاصح ان نقول التهجير القسري ليهود الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية الى دولة الكيان الصهيوني، ويبدو لاول وهلة ان العين تلمح موسكو ووارسو وبودابست وبراغ، ولكن ضباب التهجير القسري يشد الانظار الى واشنطن. لقد كانت قضية حقوق الانسان امرا هاما بالنسبة لكل المباحثات الامريكية السوفيتية السابقة، وكانت تهدف الى اجبار الاتحاد السوفيتي على اعطاء اليهود حرية مغادرة الاتحاد السوفيتي، وكانت الولايات المتحدة تغري اليهود بالهجرة عبر فتح ابوابها لاستقبالهم ومنحهم الجنسية الامريكية. لقد استقر 49 % من اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفيتي في امريكا مؤكدين بذلك ان نيويورك هي اورشليمهم الموعودة وليس القدس المحتلة. واليوم، وبعد فتح الاتحاد السوفيتي الهجرة لكل مواطنيه الى حيث يشاؤون، نجد امريكا تغلق باب الهجرة امام اليهود الى اراضيها، وكانها تذكرت مؤخرا بعد مرور (120) سنة على تحذير بنجامين فرانكلين الشهير بمنع دخول اليهود الى امريكا دستوريا.

الهدف الامريكي الواضح هو الدعم الديمغرافي للحركة الصهيونية وللكيان الصهيوني وهو ما ينبىء بانفاس عدوانية توسعية. اما الاتحاد السوفيتي فلا يجوز ان نعفيه من مسؤولية ما يجري على ارضه بحجة ان ما في اليد حيلة. ولكن، وانطلاقا من القانون الدولي، يستطيع الاتحاد السوفيتي اتخاذ قرار يمنع هجرة اليهود من اراضيه الى ان يتم الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة عام 1967. وهو السبب الذي من اجله قطع الاتحاد السوفيتي علاقاته

الدبلوماسية بالكيان الصهيوني.[10]

2. تهديدات الكيان الصهيوني للعراق

من الطبيعي ان يقوم المعتدي الصهيوني بحماية عدوانه، ومن الطبيعي ان يقوم العدو الصهيوني بالاعتداء على اي بلد عربي، خاصة اذا كان هذا العدوان سيجد غطاء مباشرا وفعالا من امريكا. هكذا تحددت استراتيجية الحرب العدوانية الصهيونية التي تستهدف ضرب اي خطوة وحدوية او تقدمية او تحررية في العالم العربي. والعراق المنتصر في حربه الضروس ضد العدوان الايراني يواجه مسؤوليات قومية ويتحملها بشجاعة وكرامة عربية صادقة. ولكن الملفت للنظر بشكل واضح هو تلازم حملة التهديد الصهيوني مع حملة التشويه الامريكي البريطاني ضد العراق وضد محاولته تطوير امكانياته العلمية والتكنولوجية لمواكبة العصر ومتطلبات التنمية. ان هذه الحملة الامريكية هي الضوء الاخضر الذي يعطى للعدو الصهيوني للقيام بعدوانه. هكذا اعطي في حزيران/يونيو عام 1981 الضوء الاخضر بضرب المفاعل النووي العراقي، بعد الجلسة السرية الشهيرة لبيغن مع هيج والتي نشرها زئيف شيف في كتابه الحرب المضللة وهكذا اعطي قبل ذلك عام 1967، وبعد ذلك عام 1982.

3. قضية القدس

خروجا عن كل الاعراف الدولية قام الكونجرس الصهيوني -عفوا- الامريكي باتخاذ قرار يعتبر فيه القدس (عاصمة دولة "اسرائيل" ويجب ان تبقى كذلك) كما يؤكد على ضرورة ابقائها موحدة وغير مجزأة.

ان وضع هذا البند على جدول اعمال القمة العربية قضية هامة، ويجب ان تتخذ القمة بشأنه قرارا خاصا، وتطالب الولايات المتحدة رسميا باتخاذ موقف ينسجم مع الاعراف الدولية.

4. قضية ازالة اسلحة التدمير الشاملة من المنطقة

وهو ما نادى به الرئيس مبارك ويشاركه الرأي عدد من زعماء المنطقة. كان رد شامير عليه بالدعوة الى التفاوض المباشر بين الدول العربية المعنية واحدة واحدة وبين الكيان الصهيوني. اما الولايات المتحدة فانها تنظر الى الخطر الممثل بالاسلحة البيولوجية الكيماوية باعتبارها الخطر الذي يهدد منطقة الشرق الاوسط، وهي تحاول بذلك ان تستثني الكيان الصهيوني من عملية نزع السلاح النووي الذي ينفرد بامتلاكه. لقد جاء تطوير العراق للسلاح الكيماوي المزدوج كنوع من محاولة الدفاع عن النفس في حال قيام الكيان الصهيوني بضربة تكتيكية او استراتيجية ضد العراق، وهو يحاول بذلك ان يخلق حالة تدمير مؤكد متبادل تجعل العدو الصهيوني يحسب الف حساب قبل اقدامه على عملية المفاجأة. فالميزة الاستراتيجية التي يتمتع بها العراق، الى جانب ميزة الارادة على القتال، تتمثل بلا مركزية الرد التي اعلن عنها الرئيس صدام حسين والتي تجعل مناطق هامة ديمغرافيا واقتصاديا في الكيان الصهيوني تتعترض للتدمير الشامل.

اما قضية لبنان وهي بند لابد ان يجد طريقة للبحث في هذه القمة. هذا البلد الصابر على "بلاوي" المخططات الامريكية التي جعلت منه عبرة لكل من يقف الى جانب الثورة الفلسطينية ويدعمها. يجب على القمة ان تبذل كل جهدها من اجل وضع حل لمعاناة شعبنا اللبناني والاخذ بيده ليحقق من جديد استقلاله وحريته ووحدة اراضيه.[10]

لقد شكلت المحصلة الايجابية للقمة العربية الرد المناسب على مذكرات امريكا، وجاء رد امريكا بالفيتو على مجرد مشروع قرار بارسال لجنة تقصي حقائق الى الارض المحتلة بهدف حماية اهلنا هناك من مجانين صهيون. هذا ثانيا.. اما اولا فالمطلوب حمايته من حكماء صهيون. وجاءت الذريعة الكبرى لامريكا يوم نفذ الفدائيون الفلسطينيون عمليتهم العسكرية البحرية، "عملية القدس" على الشواطىء القريبة من يافا. كان الامريكيون قد رفضوا، قبل اسبوع من تنفيذ العملية، منح الاخ ابو عمار سمة دخول الى امريكا للمشاركة في اجتماع مجلس الامن... واذا بهم يطالبونه، وهو لا يزال ترقص امام عينيه صورة العمال الفلسطينيين الذين قتلوا بدم بارد في عيون قارة، ان يدين الابطال اللذن نفذوا عملية القدس. لقد خلط الامريكيون والصهاينة وبعض الذين تعبوا بين التزام الثورة والمنظمة واعلان الاخ ابو عمار في القاهرة بنبذ الارهاب، الذي وعلى نفس الصفحة، كرس حق الشعب الفلسطيني في ممارسة الكفاح المسلح المشروع دوليا، قانونيا وإنسانيا، وبين العمليات الخارجية الموجهة ضد المدنيين.

لقد كان ترحيبنا بفتح امريكا الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، انطلاقا من الدور العالمي الذي تلعبه الولايات المتحدة في قضايا الحرب والسلام. ان المذكرة الاولى التي قرأها بيلليترو، السفير الامريكي في تونس والمحاور الاساسي مع المنظمة، في جولة الحوار الاول، تؤكد على التزام امريكا بامن "اسرائيل" وحمايتها، وقوتها، وبان الحوار الذي يجري هو لصالح تأكيد هذا الالتزام، وان اي محاولة من المنظمة لاحداث شرخ بين امريكا و "اسرائيل" سيبوء بالفشل. وفي الاساس فان المنظمة تحت الاختبار، ومستوى الحوار معها سيظل على ما هو عليه الى ان تثبت المنظمة حسن نيتها والتزامها بتعهداتها التي تساعد امريكا على تحقيق التزاماتها تجاه الكيان الصهيوني.

والملاحظ ان الحوار لم يجر حسب اهواء امريكا ورغباتها، فقد كان الموقف الفلسطيني صلبا متمسكا بالثوابت رافضا التنازلات التي كانت تطلب منه، وفي مقدمتها ادانة العمليات العسكرية التي تصنف في خانة الكفاح المسلح. لقد وضع الامريكيون نواياهم على بلاطة، بتأكيدهم عدم قدرتهم على الضغط على "اسرائيل" حتى لا تهرب كليا من عملية السلام. وكان واضحا ان مصدر الضغط الوحيد الذي كان الامريكيون يعتبرونه قادرا على التأثير على الكيان الصهيوني هو ما يستطيعون انتزاعه من تنازلات من منظمة التحرير بادانة الكفاح المسلح، والتنازل عن حق العودة، والتسليم بالقدس عاصمة لكيان الصهيوني، والطلب من ابطال الانتفاضة عدم استخدام المولوتوف والسكاكين.. واخيرا.. عدم استخدام الحجارة..

هذا المسلسل من حوار الطرشان انتهى بعد اربع جلسات رسمية.. وتحول الى علاقة بين سفيرين لدولتين لا علاقات دبلوماسية بينهما ويقيمان في دولة ثالثة..

وحل تبادل المذكرات بدل الحوار وظل، خيط معاوية الذي نحافظ عليه يمثل الحبل السري لحفاظ منظمة التحرير على تمسكها بمشروع السلام الفلسطيني، الذي يشكل في هذه المرحلة حزام الامن الدولي للانتفاضة ويعبر عن طموحاتها الراهنة في تحقيق دحر الاحتلال والحرية والاستقلال الوطني.

ان تفعيل الحوار لا يتم بالتهديد بقطعه من اي طرف، وانما بتصعيد الدافع لتفعيله، فبالنسبة لامريكا، التي تستفيد من الحوار بمحاولة تجميد الحالة الفلسطينية، وكسب الوقت لصالح العدو الصهيوني ليقوم باستيعاب الحد الاقصى من المهجرين اليهود، ترى ان تفعيله وجعل المنظمة تتمسك به يتم عبر تأكيد انحيازه للكيان الصهيوني. اما بالنسبة للمنظمة، فانها لن تقطع الحوار بسبب الانحياز الامريكي للكيان الصهيوني. هذا مفهوم اصلا، وهي لا تريد ان تقطعه باعتباره احد الانجازات التي حققتها الانتفاضة. ولكن تفعيل هذا الحوار لا يتم الا عبر الانتفاضة وعبر تصعيد الكفاح المسلح، وعبر تصعيد النضال بكافة الوسائل الدبلوماسية والاعلامية والجماهيرية والمسيرات الصاخبة في العالم، التي تزيد من حالة الالتفاف العالمي حول الانتفاضة ومشروع السلام الفلسطيني كما يدين الممارسات

الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، ويساهم في عزلة الكيان الصهيوني.

ان تطوير الحوار يتم ايضا بتفعيل دور الموقف العربي الواحد، فالضغط العربي على امريكا مقرونا بالضغط العملي الفلسطيني على الكيان الصهيوني، يستطيع ان يفرض معجزات لا يمكن للكثيرين ان يتخيلوها. ان هذا العصر، عصر المتغيرات الصاخبة، يفرض علينا كفلسطينيين وعرب ان نساهم بتغيير ما بأنفسنا حتى نستطيع بقدرة الله ان نغير ما يحيط بنا من قيود الخوف والضعف. لقد كسب المحاور الامريكي بمراوغاته، المتتالية عبر سلسلة الخطط والنقاط المختلفة، الوقت لا ستيعاب المهاجرين اليهود وهو لا يزال بحاجة الى وقت اطول.

ان تشكيل حكومة الارهابي شامير هو تشكيل حكومة حرب من نوع جديد، حرب مراحل، تضع امامها اولويات التحضير لمعركة شاملة فاصلة على المستوى الاقليمي.. فلم تعد الخطة المطروحة سابقا، وان كانت تظل في مجال الاحتمال، والمتعلقة بالعدوان على الاردن لخلق حقائق جديدة تمتلك الاولوية الاولى وهذا ما استدعى تعيين شارون وزيرا للاسكان، فالاولوية الصهيونية الآن هي لتحقيق الامداد البشري لمعركة حاسمة لتحقيق اسرائيل الكبرى.[11]

بهدوء... وبساطة قدم الرئيس بوش هديته الى الارهابي شامير بمناسبة نيل حكومته ثقة الكنيست الصهيوني، وكانت الهدية تعليق الحوار الامريكي- الفلسطيني.

والذين يتابعون مفهوم الخطوات السياسية الامريكية تجاه قضية الشرق الاوسط يعرفون ما الذي تعنيه هذه الخطوة، التي جاءت في وقت يتحفز فيه العالم ضد طبيعة تشكيل الحكومة الصهيونية الفاشية بتركيبتها الفسيفسائية المتناحرة والاغلبية الواهية التي تسلقت عليها قفزة الثقة. فالحوار الذي، وان لم يتقدم نحو السلام قيد انملة، كان يعني المنطقة. وتجميد الحوار او تعليقه يعني التغاضي عن هيجان الثيران الفاشين في حكومة شامير الذين لا تبصر عيونهم غير لون الدم القاني.

وهي قد تتجاوز التغاضي بالانحياز الشامل واعطاء الضوء الاخضر الذي يطلق يد الاجرام الصهيوني لارتكاب سلسلة المجازر التي تنسجم مع طبيعة شارون، وليحقق رحبعام زئيفي احلامه في الترانسفير ولتكبر "اسرائيل" حتى تصبح قادرة على احتضان التطلعات الكبرى لايتان وشامير.

كيف ينسجم الموقف الامريكي مع المسؤولية الدولية الملقاة على عاتق الولايات المتحدة، وهي تعلن على لسان ادارتها، بدءا بالرئيس بوش مرورا بالوزير بيكر وحتى الناطقين باسم البيت الابيض والخارجية، يوميا عن تمسك الادارة الامريكية بالمسيرة السلمية في الشرق الاوسط؟!!

ان الادارة الامريكية تدرك ان المسيرة السلمية في الشرق الاوسط لها عنوان واحد هو منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد حاولت الادارة الامريكية استخدام الحوار لابتزاز منظمة التحرير الفلسطينية، ولانتزاع تنازلات اساسية تمس مبادىء واسس منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية. وعندما عجزت عن تحقيق ذلك عمدت الى تعليق الحوار عند نقطة اساسية وهامة، تكون بعدها منظمة التحرير او لا تكون. فالكفاح المسلح ركيزة اساسية من ركائز النضال الفلسطيني، وهو الى جانب الاستقلالية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارض فلسطين، تستكمل الركائز الثلاثة والمبادىء الاساسية للثورة الفلسطينية ولمنظمة التحرير الفلسطينية ولحركتنا "فتح".

وانطلاقا من ذلك فان الاخ ابو عمار عندما اعلن ادانته للارهاب اكد على حق شعبنا وثورتنا في النضال، بكافة الوسائل وفي مقدمتها الكفاح المسلح، من اجل تحقيق اهداف شعبنا في دحر الاحتلال وتحقيق الحرية والاستقلال الوطني.

كانت ادارة بوش تعتقد ان بالامكان عودة الحوار الى الاستمرار، سواء على نفس المستوى السطحي الذي كان او حتى بتقديم اغراءات ترغيبية، مقابل التنازل عن حق الشعب الفلسطيني وثورته ومنظمته وحركته الرائدة "فتح" عن الكفاح المسلح، وثبت ان هذه الادارة كانت واهمة، ونحن ندرك جيدا انها تعرف ان منظمة التحرير الفلسطينية وحركة "فتح" لن تتخلى عن الكفاح المسلح، ولكن الادارة الامريكية تحاول ان تخلق الشرخ بين من يعتقدون ان امريكا جادة في الوصول الى تحقيق سلام عادل بعيدا عن العنف والقتل، وبين من يدركون جيدا انحيازها السافر للكيان الصهيوني ومسؤوليتها المباشرة عن كل الجرائم التي ترتكب ضد شعبنا، نتيجة للدعم اللامحدود الذي يلقاه الكيان الصهيوني من الادارة الامريكية. لقد وصلت تحليلات بعض حسني النية الى ان خطوة تعليق الحوار الامريكي مع المنظمة انما هو مقدمة لممارسة ضغوط امريكية على حكومة شامير وذلك لجعلها تنساق في طريق السلام وتنصاع لخطة بيكر!!.

وعلى الرغم من ان خطة بيكر ليست سوى خطة شامير نفسه، التي رفضها بعد ان اعادها بيكر في غلافها الامريكي، فان ترويج شامير لتمسكه باتفاقيات كامب ديفيد والعمل على تعميمها ليعم السلام الصهيوني منطقة الشرق الاوسط، ليس سوى محاولة جديدة لكسب الوقت. فالمعروف ان شامير واركان وزارته كانوا من معارضي اتفاقيات كامب ديفيد في عهد بيغن. ومن المنطقي ان يبالغوا الان في معارضتها لدرجة تدفعهم الى التصريح والتلميح بضرورة العودة لاحتلال سيناء لاستيعاب المزيد من اليهود المهجرين من الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية ومن اماكن اخرى في العالم.

لقد ضربت امريكا بخطوة تعليق الحوار عرض الحائط بالارادة العربية التي عبرت عنها روح القمة في بغداد. وتدرك امريكا جيدا ان الموقف العربي الموحد ضد سياستها المنحازة للعدو الصهيوني سيكون له اثره الفعال على مصالحها ومستقبل العلاقات العربية الامريكية. ولكن امريكا ايضا تدرك ان بعض العرب اضعف من ان يواجهوا الموقف الامريكي بصلابة. وهنا يظل المحك الطليعي هو الاساس في منع الانهيار، وفي الصمود والتضحية، وفي العمل الدؤوب من اجل تجميع السواعد المقاتلة والارادات الفعالة والقلوب المؤمنة بحتمية النصر وتحقيق التضامن العربي الفعال على مستوى الامة العربية والاسلامية.

والحوار المعلق بين الانحياز الامريكي السافر للعدو الصهيوني وبين الابتزاز "الامريكي المتغطرس" لشعبنا الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية، سيظل كما هو الى ان نعيده من موقع القوة بالكفاح المسلح وتصعيد حرب التحرير الشعبية المتأججة داخل الارض المحتلة، والتي تسجل عصر الانتفاضة المجيدة على صفحات التاريخ الخالد، لتؤكد ان هذه الارض الفلسطينية مهما حشدوا عليها من مرتزقة ومهجرين وقتلة فان ارادة الشعب الفلسطيني وحتمية الصحوة القومية العربية التي بدأت تعكس روح الانتفاضة من بغداد، وبدأت تفتح افاق الالتزام العربي لمواجهة الخطر الداهم الذي لا يستثني احدا، ولوضع حد للانحياز الامريكي والواضح الصريح والعادل من القضية المركزية للامة العربية، قضية فلسطين.[12]

الهوامش

1. محمد ربيع الحوار الفلسطيني الامريكي. مصدر سابق ص154.
2. المصدر السابق ص155.
3. المصدر السابق
4. وليام كوانت.. مصدر سابق ص366.
5. المصدر السابق ص367.
6. محمد ربيع مصدر سابق ص160.
7. وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) الجمعة 11/8/1989.
8. جيمس بيكر سياسة الدبلوماسية/مذكرات مكتبة مدبولي 1999 ص182-183.
9. المصدر السابق 183-184.
10. نشرة فتح - رأينا العدد العاشر 30/5/1990.
11. المصدر السابق العدد الحادي عشر 15/6/1990.
12. المصدر السابق العدد الثاني عشر 30/6/1990.